الباب الثاني

الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية المجردة

الفصل الأول

فعـــــل

* فعَلَ دالـة على المـــاضي.
* فعَلَ دالـة على الحاضـــــر.
* فعَلَ دالـة على الزمن العـــام.
* فعَلَ في سيـــاق المستقبـــل.

الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية المجردة

الفصل الأول : فعـــل

رأينا في الباب السابق، أن صيغة "فعل" تدل على الماضي باعتبار الوضع والأصالة، وأنها تنصرف الى أزمنة مختلفة عندما تدرج في السياق، أو تعتريها عوامل التبديل من زمن الى زمن آخر، كأدوات النصب، والجزم، وغيرها وعندما نحاول أن نرصد الدلالات، الزمنية لـ "فعل" المجردة في القرآن الكريم نجد أنها لاتكاد تشد عن ذلك، اللهم الا ما تفيده أحيانا من دلالات زمنية خارجة عن نطاق أقسام الزمن، على نحو ما سنرى. ولقد رأينا أن ندرس هذه الصيغة في القرآن الكريم على النحو التالي :

1 - دلالتها على المـــاضي

2 - دلالتها على الحاضر، أو القرب من الحاضـــر.

3 - دلالتها على الاستقبـــال

4 - دلالتها على الزمن العـــام

فعل دالة على الماضي

وذلك عندما تأتي للتعبير عن مراحل زمنية مضت وانقطع أثرها، كسرد أخبار الأولين. أو تقرير أمر من الأمور المتعلقة بالجزاء، والتشريع وما الى ذلك من ذلك قوله تعالى : »واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين» (البقرة 34/2).

اذا جاء الفعل "أبى" في سياق ماض، هو قوله تعالى : «قلنا للملائكة» وهو ماض، يشير الى أن الحدث "الاباء" وقع في مراحل الأولى من التاريخ. ولا فضل للفعل "أبى" في تحديد هذه المرحلة الزمنية. ولكن اسم "ابليس" و

"الملائكة" وطريقة السرد القرآني، وهي التي بينت أن الحدث وقع في زمن ماض سحيق.

ويكفي لبيان أن الفعل لا يحدد هذا القبيل من الزمن أن يستدل اسما آخر باسم ابليس، والملائكة لتنتقل الحكاية الى مرحلة زمنية أخرى.

ولقد عبر القرآن عن هذه المرحلة الزمنية في اية أخرى بتركيب فعلى آخر الدلالة الزمنية السابقة نفسها وذلك في قوله تعالى : «واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه» (الكهف 50/18) اذ جاء الفعل "فسق" تاليا، للفعل، "كان" الذي وضعه في مرحلة زمنية، أبعد في المضي من زمن الفعل "فسق".

ويشرح أبو حيان الفعل "أبى" بأفعال مسايرة له في الزمن ومساوية له في المعنى. "فأبى" عنده : "امتنع وأنف من السجود"، وهي ماضية، لأن المقصود هو الاخبار عن (ابليس) بأنه خالف حاله حال الملائكة فأبى السجود(1) ومن ذلك قوله تعالى : «فسجد الملائكة كلهم أجمعون، الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين» (الحجر 31,30/15)

وقوله تعالى : «انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها» (الاحزاب 72/33).

ومن ذلك قوله تعالى : «فأتو على قوم يعكفون على أصنام لهم» (الاعراف 138/7). حيث جاءت "أتو" في سياق دال على المضي، وهو قوله تعالى «وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم» (الاعراف 138/7)

---

1 – انظر تفسير هذه الآية بالتفصيل في الكشاف 110/2 والبحر المحيط 377/4.

وأتو ماضيه من وجهيـــن :

الوجـه الأول : أنها جاءت معطوفة على فعل ماض لفظا ومعنى وهو قوله تعالى : «وجاوزنا».

الوجـه الثـاني : أنها وقعت في سياق سرد أخبار بني اسرائيل(1).

ومنه قوله تعالى : «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا» (الحج 39/22)، اذ جاءت أذن : ماض قريب من الحال، فقد نزلت هذه الآية، بعد أن شكا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركي مكة، وما كانوا يلاقونه منهم من أذى(2). والمعنى عند الزمخشري : "أذن للذين يقاتلون في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بسبب كونهم مظلومين"(3)

أما قوله تعالى : «وبث منهما رجالا كثيرا ونساء» (النساء 1/4) فإن "بث" فعل دل على زمن ماض بعيد في المضي، اذ جاءت معطوفا على "خلق" في قوله تعالى : «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها» وانما كامن بعيدا في المضي، لأنه يعود الى زمن خلق آدم، اذ معنى خلقكم من نفس واحدة :

"فرعكم من أصل واحد، وهو نفس آدم أبيكم، وبث منهما نوعي جنس الانس، وهما الذكور والاناث" وكذلك قوله تعالى : «فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه» (المائدة 31/5). فان الفعل "بعث" في "بعث الله غرابا" جاء في سياق سرد قصة إبني آدم قابيل وهابيل وما كان من قتل أحدهما للآخر. وذلك في قوله تعالى : «واتل عليهـــم نبأ ابنـــي آدم

1 - انظر تفسير هذه الآية بالتفصيل في الكشاف 110/2 والبحر المحيط 377/4.
2 - انظر أسباب النزول للنيسابوري 232.
3 - الكشاف 15/3 والبحر 373/6.

بالحق اذ قرّبا قربا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر» (المائدة 27/5) الى قوله تعالى : «فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين، فبعث الله غرابا»

واذا ما درسنا الأفعال الماضية الثلاثة : طوع، قتل، بعث نجد أن كل هذه الأفعال وقع في زمن مختلف عن الآخر، وأن الفاء هي التي حددت زمن كل فعل ورتبت موقعه في الخريطة الزمنية، فطوع أسبق في الزمن من "قتل" و "بعث" تابعة لـ "قتل" ومن الافعال الماضية الدالة على أخبار الأولين من الأنبياء والمرسلين قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله بها قالوا» (الاحزاب 69/33) وقوله تعالى : «وأمرنا لنسلم لرب العالمين» (الانعام 71/6)، وقوله عز وجل : «وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين» (المؤمنون 50/23) وقوله (فبشرناه بغلام حليم» (الصافات /101 37)، وقوله سبحانه وتعالى : «أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم» (الأعراف 79/7) وكذلك قوله تعالى في الايات الكريمة : «فحملته فانتبذت به مكانا قصيا» (مريم 22/19).

« ان البقر تشابه علينا» (البقرة 70/2)

«فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب» (ص36/38).

«وثمود الذين جابوا الصخر بالوادي» (الفجر 11/89).

«فكذبوها فعززنا بثالث» (يس 14/36).

ومن الأفعال الماضية التي جاءت واقعة في جملة محكية قوله تعالى : «قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول» (طه 96/20).

وقوله تعالى : «قال إني أحببت حب الخيل عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب»(ص32/38).

وقوله عز وجل : «قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق» (يوسف 51/12).

وقوله تعالى : «قالوا يا أبانا ان ابنك سرق» (يوسف 81/12).

قوله تعالى : «قالوا أطيرنا بك وبهن معك» (النمل 47/27).

وقوله عز وجل : «قالوا من فعل هذا يا آلهتنا يا ابراهيم» (الانبياء /59 215).

«فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسّنا وأهلنا الضر» (يوسف 88/12).

«قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم» (المؤمنون 113/23).

وهناك أفعال جاءت متتالية في الزمن الماضي وتفصل بينهما فترة زمنية قد تطول، أو تقصر :

من ذلك قوله تعالى : «فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها» (الاحزاب /37 33)

اذ نجد الفعلين "قضى" و "زوج" يدلان على زمن ماض، الا أن الفعل "قضى" أسبق في الحدوث من "زوج" والحدثان وقعا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وللخطاب في زوجناكها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والزمن الذي يفصل بين الفعلين هي الفترة الواقعة بين زواج زيد بن حارثة من زينب بنت جحش رضي الله عنهما ثم تطليقها وزواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم(1).

ومن ذلك قوله عز وجل : «وقوم نوح لمّا كذبوا الرسل أغرقناهم» (الفرقان 27/25).

---

1 - الكشاف 262/3 وأسباب النزول للنيسابوري 265/264.

وقوله تعالى : «فلما سحروا أعين الناس واسترهبوهم».

وقوله تعالى : «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان» (الاحزاب 72/33) وهناك أفعال ماضية، ولكنها جاءت معبرة عن مستقبل هذا الماضي، حيث تتداخل المراحل الزمنية، ويتقاطع الماضي مع المستقبل، مع ذلك قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام «قضى الأمر الذي فيه تستفتيان» (يوسف 41/12)، فالفعل قضى من الأفعال التي يمكن أن يقال عنها : أنها جاءت دالة على مستقبل الماضي، اذ الأمر يقضي عاقبة أمرها وهي : هلاك أحد المستفتين ونجاة الآخر، ولقد أخبرهما يوسف بأنه ينبئهما بما سيحدث لهما في المستقبل، وقد جاء الفعل كما نعلم في سياق تفسير سيدنا يوسف عليه السلام لما رآه الرجلان في المنام، وبذلك يمكن القو : أن الفعل "قضى" جاء دالا على الاستقبال بالنسبة لزمن القص باعتبار أن هلاك الأول، ونجاة الثاني أمران لم يحدثا قبل تلفظ سيدنا يوسف بكلمة "قضى" وانما كانا سيحدثان فيما يستقبل من زمانهما.

وان دل على الماضي البعيد بالنسبة لزمننا لأن الفعل تضمنته قصة سيدنا يوسف عليه السلام، والشكل التالي يوضح الدلالة الزمنية للفعل "قضى".

الماضي البعيد	الماضي القريب	(الحاضر)	المستقبل
قضي للأمر			قضي من الماضي الى مستقبل الماضي

ماضي المستقبل

وكما أن هناك أفعالا دالة على مستقبل الماضي، فإن هناك أفعالا تدل على ماضي المستقبل.

من ذلك قوله تعالى : «هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» (التوبة 35/9)، ولقد جاء الفعل "كنزتم" ماضيا واقعا في سياق المستقبل، وهو قوله تعالى : «يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم» وعند تحليل هذه الآية نجد أنها دالة، كما قلنا على المستقبل بقرينة مميزة هي : "يوم" التي تدل غالبا على يوم القيامة ولكن الفعل "كنزتم" ماض بالنسبة للفعل المضارع الدال على الاستقبال "يحمى" لأن المؤدّى الزمني للفعل "كنزتم" في هذه الآية هو : "هذا ما كنزتم لأنفسكم في الحياة الدنيا"(1).

ويمكن توضيح الدلالة الزمنية للفعلين "يحمى" و "كنزتم" بالشكل التالي :

الماضي	الحاضر	المستقبل القريب	المستقبل البعيد
	ماضي المستقبل		يحمي
	كنزتم		

ومنه قوله تعالى : «ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون» (الاعراف 48/7)، وكذلك قوله تعالى : «قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا» (غافر 11/40).

وقوله تعالى : «ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني» (الحديد 14/5).

ومنه قوله تعالى : «ويوم يعرض الذين كفروا على النار ا هبتكم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمعتم بها»(الاحقاف 20/46)

---

1 - انظر شرح هذه الآية في :
الكشاف 188,187/2 والبحر المحيط 37-36/5، وأسباب النزول 183-184.

فَعَل دالة على الحاضر :

من المواضع التي تأتي فيها فعل دالة على الحاضر في القرآن الكريم الظرف الدال على الحين نحو الآن اليوم ونحوهما من ذلك قوله تعالى : «الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا» (الانفال 66/8)، ولقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : «يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون».

لقد جاء التخفيف في حال شق فيه على الصحابة ثبات الواحد للعشرة فخففت الى ثبات الواحد للاثنين(1)، فالفعل خفف" دل على الحاضر من جهتين : من جهة السياق العام، ومن جهة الظرف.

ومنه قوله تعالى : «اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشوني اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» (المائدة 3/5) وقد نزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان يوم عرفه بعد العصر في حجة الوداع، ويروي أن يهوديا قال : لو نزلت هذه الآية علينا في يوم لا تخذنا فيه عيدا، فقال ابن عباس رضي الله عنه أنها نزلت في عيدين اتفقا في يوم واحد هو يوم الجمعة ووافق ذلك يوم عرفه فالمراد باليوم اذن هو هذا الحيـــز

من الزمان الواقع من طلوع الشمس الى غروبها، ودلالة "أكملت" هي الحاضر، غير أن الزمخشري ينفي أن يراد باليوم الحاضر ويقول : اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما أراد به الزمان الحاضر، وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية(2) غير أن ما فصله المفسرون في شرح هذه الآية يفضي الى أن هـــذه

---

1 - البحر المحيط 517/4.

2 - انظر : الكشاف 593/1 وأنظر : البحر : 426,425/3 وأسباب النزول 141,140، والزمن في النحو العربي 116.

الأفعال جاءت أدل على الحاضر منه الى أزمنة أخرى.

وقد شرح أبو حيان "اليوم" الذي جاء سابقا لـ "يئس" و "أكملت" و "أتممت" بأن الالف واللام في اليوم، للعهد واليوم هو يوم عرفة(1) مما يدل على أن الفعلين يئس وأكملت يقعان في حاضر ذلك اليوم.

ولقد اختلف النحاة والمفسرون في زمن "حصرت" في قوله تعالى : «أو جاؤوكم حصرت صدورهم» (النساء 90/4)، فقد ساق الكوفيون هذه الآية لتكون شاهدا على جواز وقوع الماضي حالا لأن "حصرت" فعل ماض، وهي في موقع الحال، وتقديره حصرت صدورهم والدليل على صحة هذا التقدير قراءة من قرأ «أو جاؤوكم حصرت وحصرة صدورهم» وهي قراءة الحسن البصري كما تؤيدها قول أبو صخر الهلالي الطويل.

واني لتعروني لذكراك هـــــزة كما انتقص العصفور بلله القطر(2)

فبالله فعل ماض، وهو في موضع الحال.

ولقد احتج البصريون بأن الفعل الماضي لا يدل علي الحال ولا ينبغي أن يقوم مقامه، لأنه لا يصح أن يقال فيه الآن أو الساعة في نحو قولنا مررت بزيد يضرب الآن وقالوا : ان حصرت يمكن أن يكون محمولا على الدعاء، لا على الحال كأنه قال : ضيق الله صدوركم(3) وليس يخفي ما في هذا التقرير من ابتعاد عن المعنى المراد، فان نظرتهم الدلالية للتركيب جعلتهم يربطون بين السياق الذي ورد فيه الفعل وبين دلالته الزمنية فـ"حصرت" عند الزمخشري في موضع الحال باضمار و "قـد" ودليلـه على ذلك قـراءة من قـرأ حصـرة

---

1 - البحر 425/3.

2 - أنظر البيت في الانصاف 253/1. والخزانة للبغدادي 552/1.

3 - الانصاف 252/1-255، ومعاني القرآن للفراء 282/1

صدورهم(1) أما أبو حيان فيقرر أن الفعل في موضع الحال. وليس شرطا تقديرا "قد" أي قد حصرت، على نحو ما يذهب اليه جمهور النحاة لأن هذا القبيل من التركيب "جاء منه ما لا يحصى كثرة بغير "قد".

فعل في سياق المستقبل

إن وجود صيغ "فعل" في سياق استقبالي في القرآن الكريم يخضع لظوابط وحالات ونكت بلاغية يراد بها تنزيل حوادث المستقبل منزلة حوادث الماضي، وهذا للاشارة الى أن حدوثها واقع لا محالة، مثلها في تحقيق وقوعها في المستقبل مثل حوادث الماضي التي وقعت، وأصبحت حوادث واقعة من ذلك قوله تعالى : «فوقاهم الله شرذ بك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا» (الانسان /30 76) حيث انتقل الفعلان "وقى" "ولقي" الى الاستقبال، وهذا بفضل قرينة لفظية هي اليوم (فقد جاءت) هذه الآية بعد قوله تعالى : «أنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا» و "ال" في "اليوم" عهدية والمراد باليوم يوم القيامة. قال ابن عباس رضي الله عنه يعيش الكافر يومئذ حتى يسيل من عينه عرق كالقطران(2) وقال الزمخشري وهو يشرح هذه الآية : "أي أعطاهم بدل عبوس الفجار وخزيهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب"(3).

ولقد تباينت آراء جمهور المفسرين في زمن "أتى" في قوله تعالى : «أتى أمر الله فلا تستعجلوه» (النحل 1/16). حيث ينقل عنهم أبو حيان الآراء التالية :

- أن المراد بالأمر في قوله تعالى : «أتى أمر الله)، نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهوره على الكافرين وظفره بأعدائه وانتقامه منهم. وهنا يكون

---

1 - الكشاف 552/2.
2 - البحر 396/8.
3 - الكشاف 197/4.

زمن " أتى" يتراوح بين المضي القريب والمستقبل القريب.

- أن الأمر هنا مصدر أمر، والمراد به فرائضه وأحكامه، ولذلك تنصرف أتى من المستقبل الى الماضي ولكن أبا حيان يرى في هذا الرأي بعدا عن حقيقة الموقف "لأنه لم ينقل عن أحد من الصحابة أنه استعجل حكما من الأحكام من قبل أن يفرض عليهم.

-أن يراد بالأمر : عقاب الله لمن أقام على الشرك وتكذيب رسول الله، ويتعين الفعل في هذه الحال لمستقبل قريب دنيوي.

- أن يكون الأمر هو بعض أشراط الساعة، أما الفعل فيحتمل أن يكون باقيا على معناه من المضي، ويكون المعنى، أنني أمر الله وعدا، فلا تستعجلوه وقوعا.

- أن يكون المعنى أتت مبادئه وإمارته وجاء التعبير بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه أو قرب وقوعه وبذلك ينصرف الفعل "أتى" الى المستقبل الأخروي البعيد :

وليس هذا هو الفعل الوحيد الذي تخضع دلالته الزمنية لرأي المفسرين أو شرحهم للآية فتحدد الدلالة الزمنية للفعل حسب المعنى الذي يضفيه عليه أحد المفسرين.

من ذلك قوله تعالى : «انا أعطيناك الكوثر» حيث يتحدد البعد الزمني للفعل "أعطيناك" حسب شرح المفسرين للكوثر، قال أبو حيان، أن في "الكوثر" ستة وعشرين قولا من هذه الأقوال : أن الكوثر هو القرآن، وتكون الدلالة الزمنية لأعطيناك هو المضي، أو الماضي المستمر الى الاستقبال باعتبار أن القرآن قد استمر نزوله بعد سورة الكوثر.

وقيل هي كثرة الأصحاب، وقيل هي التوحيد كما قالوا هي نور قلبه، دله

على الله تعالى، وقطعه عما سواه، أو هو النبوة وتكون "أعطيناك" بهذه المفاهيم المتعددة لـ "الكوثر" ماضية لفظا، ومعنى لأن كل التفاسير السابقة تستمر الى هبات خص الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم. فيما مضى من الزمن.

أما أشهر الأقوال، وأكثرها رواجا عند المفسرين فهوما ينقله أبو حيان من حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صحيح مسلم حيث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم، قال نهر وعدني به، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم(1).

وبهذا التفسير تنتقل دلالة " أعطيناك" الى الاستقبال البعيد واذا كانت الدلالة الزمنية للأفعال تتوقف في بعض الأحيان على الفاعل الذي يليها، فان الدلالة الزمنية للفعل الماضي في قوله تعالى : «فتحت أبوابها) في الايتين (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها» (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها» (72,71,39) أقول : دلالة الماضي في الايتين تتوقف على من يعود عليه الضمير المضاف الى الفاعل في "أبوابها"، و "تفتحت" في قوله تعالى : «وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها» فتدل على الماضي لأن أبواب الجنة مفتوحة أبدا والدليل على ذلك قوله تعالى «جنات عدن مفتحة لهم الأبواب» (50/38).

قال الزمخشري ولذلك جيئ بالواو (في وفتحت) كأنه قيل حتى اذا جاءوها وقد فتحت أبوابها(2) (الضمير في أبوبها يعود الى الجنة. أما "سيق" في الآيتين، فهي خالصة للاستقبال اذ جاءت مدرجة في حديث عن المستقبل البعيد

---

1 - البحر 519/8.
2 - الكشاف 411/3.

هو الدار الآخرة ومن ذلك قوله تعالى : «اقتربت الساعة وانشق القمر» (القمر 1/54) اذا اختلف المفسرون في زمن انشقاق القمر، اذ يرى معظمهم أن القمر قد حصل فيه الانشقاق، وقد دلت الأخبار على حديث الانشقاق الذي رواه جمع من الصحابة(1)، وبذلك ينصرف الفعل "انشقت" للماضي الخالص بينما يرى آخرون : أن المراد : سينشق يوم القيامة، أو أنه سيستمر انشقاقه الى يوم القيامة "لأن كل شيئ قد انقادت طريقته ودامت حاله قبل فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات(2) وترادف الآيات. ومن ذلك قوله تعالى : «واذا قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمّي الهين من دون الله» (المائدة 116/5) اذ يتفق المفسرون على أن هذا الكلام، انما يذكره الله لعيسى يوم القيامة وبذلك يخلص "قال" للاستقبال البعيد، ومنهم من قال : ان الله تعالى قد قال هذا الكلام لعيسى عليه السلام حين رفعه اليه ودليلهم في ذلك أن "قال" جاءت مسبوقة بـ "اذ" الدالة أبدا على المضي ولكن هذا الرأي يبعده قوله تعالى : «هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم» (المائدة 119/5) والمراد به يوم القيامة"(3).

ومن الأفعال التي تتعدد دلالتها الزمنية، وفق المعاني التي تضفي على فاعلها. "سأل" في قوله تعالى «سأل سائل بعذاب واقع للكافرين» (المعارج/1 70).

فاذا كان السائل هو سيدنا نوح عليه السلام فيكون سأل للماضي البعيد، واذا كان السائل هو النبي صلى الله عليه السلام فان سأل تنصرف للماضي القريب، أما اذا كان "سأل" بالتخفيف والسائل بمعنى واد في جهنم، فتكون "سال" (بالتخفيف) للمستقبل البعيد اذ أن سلان العذاب لا يكون الا في

1 - التفسير الكبير للامام الفخر الرازي 28/29.
2 - الكشاف للزمخشري 36/4.
3 - التفسير الكبير للرازي 134/12.

الدار الآخرة.

ومن الأفعال الماضية الدالة على الاستقبال بقرينة لفظية في قوله تعالى : «الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه» (فاطر 9/35) اذ معنى سقناه: تسوقه قال أبو عبيدة، ومجاز "فسقناه" مجاز فنسوقه(1)، ومنه قوله تعالى : «وأقاموا الصلاة» اذ مجازه ويقيمون الصلاة(2). اذ جاء الفعل الماضي معطوفا على فعل ماضي لفظا ومعنى هو "أرسل" وقد يدل "فعل" على الاستقبال، اذ جاء بعد دعاء وذلك في نحو قوله تعالى : «رضي الله عنهم ورضوا عنه» (البينة 8/98) والدليل على أنه استقبال، أنه جاء بعد سياق استقبالي وذلك في قوله تعالى : «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا».

ومن الدعاء عليه قوله تعالى هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أني يوفكون» حيث جاءت قاتلهم استقبالا في سياق دعاء قال الزمخشري وهو يشرح الآية : "قاتلهم الله دعاء عليهم، وطلب من ذاته أن يلعنهم، أو يخربهم هو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك(3).

ومن الأفعال الماضية لفظا، الدالة على الاستقبال بقرينة قوله تعالى : «ونادى أصحاب الجنة اصحاب النار» (الاعراف 44/4).

«اقتربت للناس حسابهم» (الأنبياء 1/21).

«اقتربت الساعة وانشق القمر» (القمر 1/54).

1- مجاز القرآن لابن أبي عبيدة 152/2

2 – المصدر نفسه 155/2 وانظر التفسير الكبير للامام الفخر الرازي 122/30.

3 - الكشاف 110/4.

«وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلاّ هَمْسًا» (طه 108/20).

«فنفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض» (الزمر /68 39).

«ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا» (الكهف 99/18).

فعل دالة على الزمن العام

وقد تخرج "فعل" على الازمنة الثلاثة (الماضي، الحاضر، المستقبل) الى زمن عام متجدد من الماضي السحيق الى المستقبل البعيد من ذلك الأفعال "أخرج" و "آزر"، و "استغلظ" في قوله تعالى : «كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه» (الفتح 29/48)، فانها أفعال لا تدل على زمن معين، وانما هي تدل على حدث يمكن أن يقع في كل وقت فهي ظواهر طبيعية ما فتئت تتكرر وتتجدد، ولا يمكن أن تتخلف، ولقد جاءت هذه الأفعال في سياق تشبيه الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بهذ الزرع الذي من خصائصه أنه أخرج شطأه... الى آخر الآية.

قال الزمخشري في الكشاف : وهذا مثال ضربه الله لبدء أمر الاسلام، وترقيه في الزيادة، الى أن قوى واستحكم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بها مما يتولد منها حتى الزارع(1).

ومن هذا القبيل من الافعال الدالة على الزمن العام قوله تعالى : «وأحضرت الا نفس الشح» (النساء 128/4) فقد جاء هذا الفعل بمثابة الصفة الثابتة الملازمة لبني الانسان، فالشح يحضر النفس في كل زمان، وهذا ما فصله المفسرون، قال الزمخشري وهو يشرح هذه الاية : "ومعنى احضار النفس الشح أن الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه، يعني أنها

---

1 - الكشاف 551/3.

مطبوعة عليه، والغرض أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح أن يقسم لها، وأن يمسك عنها اذا رغب عنها وأحب غيرها(1).

ويرى أبو حيان في هذه الآية رأيا يساير ما تذهب اليه من دلالة الفعل "أحضرت" في الآية على الاستمرار والتكرار فهو يرى أن "الأنفس" هي التي جعلت حاضرة للشح لا تغيب عنها أبدا، وليس العكس، لأن "الأنفس" هو المفعول الذي لم يسم فاعله.

ومن ذلك قوله : «وجاءت سكرة الموت بالحق» جاء في الكشاف سكرة الموت بالحق : نبه علي اقتراب ذلك بأن عبر عنه للفظ الماضي ... الى أن يقول في تفسير سكرة الموت، وقيل الحق الذي خلق له الانسان أن كل نفس ذائقة الموت ومن هذا التفسير نستنتج أن "جاءت" في الآية دالة على الزمن العام المستمر من الماضي الى المستقبل لأنها تصيب الانسان في كل زمان ومكان، ولكنها يمكن أن تحمل على أنها دالة على المستقبل القريب بالنسبة لكل انسان لأن الموت بكل ما فيه قريب نسبيا من كل انسان ولعل هذا ما يقصده الزمخشري من قوله : ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضي.

وهذه بعض الأفعال الدالة على الأزمنة الثلاثة حسب فهمنا لسياق الآية، وفي ضوء ما جاء في كتب التفسير، والله تعالى أعلم بما ينزل، فمن ذلك قوله تعالى : «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله» (البقرة249/2) وقوله تعالى : «ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون» (يونس7/10).

ومنه قوله تعالى : «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» (الشمس8/91) وقوله عز وجل «فاذا أنزلنا

---

1 - الكشاف 568/1.

عليها الماء اهتزت وربت» (الحج5/22).

وقوله سبحانه وتعالى : «حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله» (البقرة173/2).

وقوله تعالى : «وأنه هو أضحك وأبكى» (النجم43/53).

وقوله تعالى : «ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم» (الحجر» (الحجر17/16/15).

وقوله عز وجل : «وقد خاب من حمل ظلما» (طه 111/20)

وقوله تعالى : «أحل الله البيع وحرّم الربا» (البقرة275/2).

ولقد قمنا باحصاء ومتابعة دلالة "فعل" الزمنية في بعض سور القرآن الكريم فكان أن حصلنا على النتائج والأرقام التي يفصلها هذا الجدول مع العلم أننا ندرس هنا "فعل" مجردة من الأدوات المختلفة :

السورة	مجموع صيغ "فعل"	عدد الافعال الدالة على الماضي	عدد الافعال الدالة على الزمن العام	عدد الافعال الدالة على المستقبل	عدد الافعال الدالة على ماضي المستقبل
يـــس	36	29	04	01	02
هـــود	50	45	05	00	00
النبـأ	13	08	01	02	02
يوسف	102	97	02	03	

وهذه النسب المئوية للأزمنة المختلفة التي دلت عليها "فعل" في كل من السور المدرجة في الجدول :

سورة يـــس

نسبة "فعل" الدالة على الماضي 80,5 ٪.

نسبة "فعل" الدالة على المستقبل 2,7 ٪

نسبة "فعل" الدالة على مستقبل الماضي 5,5 ٪

نسبة "فعل" الدالة على الزمن العام 11,1 ٪

سورة هـود

نسبة "فعل" الدالة على الماضي 90 ٪

نسبة "فعل" الدالة على الزمن العام 10 ٪

نسبة "فعل" الدالة على المستقبل صفر ٪

نسبة "فعل" الدالة على ماضي المستقبل صفر ٪

سورة النبـــأ

نسبة "فعل" الدالة على الماضي 61,5 ٪ تقريبا.

نسبة "فعل" الدالة على الزمن العام 7,6 ٪ تقريبا.

نسبة "فعل" الدالة على المستقبل 15,3,3 ٪ تقريبا.

نسبة "فعل" الدالة على ماضي المستقبل 15,3 تقريبا.

"فعل" دالة على الماضي ..... 95 ٪ تقريبا.

"فعل" دالة على الزمن العام ..... 1,9 ٪ تقريبا.

"فعل" دالة على المستقبل ..... 2,94 ٪.

"فعل" دالة على ماضي المستقبل ..... صفر ٪.

إن قراءتنا لهذا الجدول والإحصاءات لـ "فعل" في نماذج من القرآن الكريم تمكننا من الاقتراب من دلالة صيغة "فعل" الزمنية في السياقات القرآنية من ذلك أن صيغة "فعل" تدل بهيئتها تلك عن أزمنة مختلفة الماضي، الزمن العام، (الممتد من الماضي الى المستقبل).

وأن الدلالة على الزمن الماضي هي الأكثر ورودا والأوسع انتشارا في القرآن الكريم، وهذه النتيجة تأيد ما ذهب اليه النحاة القدماء عندما خصوا صيغة "فعل" للدلاة على الزمن الماضي، اذ يبدوا أنهم فعلوا ذلك على سبيل التغليب والأصالة والواقع الكلامي، فعند قراءتنا للخانة الخاصة بسورة سيدنا يوسف نجد أن نسبة الدلالة على الماضي كانت أكثر ارتفاعا من باقي السور، لأن الفعل جعل في سياق قصصي تسرد فيه حوادث مضت.